

## 271508 - العلاقة بين رغد العيش والكفر، وهل يتعارض ذلك مع قوله تعالى: {ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم} ؟

### السؤال

يقول المولى عز وجل في كتابه في سورة المائدة: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَفَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) ويقول أيضا في كتابه: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْبَى آمَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ). السؤال: أهل الإنجليل وأهل التوراة حاليا في رغد من العيش ، وهم لا يتبعون التوراة والإنجيل ، وأهل بعض القرى رزقهم الله من السماء والأرض ، وهم لم يؤمنوا ، ولم يتقوا ، فكيف نفسر الآيتين طبقا لأحوالهم في الوقت المعاصر ؟

### الإجابة المفصلة

أولاً:

إن الرزق الذي يكون لأهل الإيمان، لا تبعة فيه في الآخرة، فإن الله تعالى يسع عليهم في الدنيا، ولا يعذبهم بسبب ذلك في الآخرة .

ولذلك فإن الله أمرهم بالعبادة حال السراء والضراء، فإن أصابته سراء شكر، وإن أصابته ضراء صبر، وهذا هو الحال الذي يرضي الله تعالى .

كما قال سبحانه: **﴿قُلْ مَنْ حَرَمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيَّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾**. الأعراف/32.

فزيينة الله التي أخرج لعباده، وطيبات رزقه، للذين صدقوا الله ورسوله، واتبعوا ما أنزل إليك من ربك في الدنيا، وقد شرکهم في ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه، وهي للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيمة، لا يشرکهم في ذلك يومئذ أحد كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه.

انظر: "تفسير الطبرى" (10/159).

ثانياً:

إن الله تعالى وعد أهل الكتاب بالرزق الحسن الذي لا تبعة فيه ؛ إنهم آمنوا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا هو معنى الآية الكريمة .

وفي المقابل توعدهم الله تعالى بالحساب، والعذاب على هذه النعم التي أنعم بها عليهم إن هم استمروا على كفرهم، وصدتهم عن سبيل الله .

كما قال تعالى: **{فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينَ (54) أَيْخَسِبُونَ أَنَّمَا نِمْدُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ}.** المؤمنون/54-55.

وقال: **{وَلَا يَخْسِبُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُفْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَا نَنْسِهِمْ إِنَّمَا نُفْلِي لَهُمْ لِيَذَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ}.** آل عمران/178.

وقال: **{ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَّتَّعُوا وَيَلْهِمُمُ الْأَمْلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}.** الحجر/3.

وقال تعالى: **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَضْلَالًا مَذْمُومًا مَذْحُورًا \* وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَوْلَئِكَ كَانُوا سَعْيَهُمْ مَشْكُورًا \* كُلُّا نِمْدٌ هُوَلَاءِ وَهُوَلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَخْطُورًا \* انْظُرْ كَيْفَ فَصَلَنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا}.** الإسراء/18-21.

قال الحسن البصري - رحمه الله - : كلاً نعطي من الدنيا : البر والفاجر " انتهى من " تفسير الطبرى " (411 / 17).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الإِيمَانَ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ" انتهى من " مصنف ابن أبي شيبة " (105 / 7).

فيحصل الكافر على رزقه في الدنيا كما يحصل المؤمن على رزقه ، ولكن المؤمن يطلب رزقه من الحلال الطيب ، ويؤدي شكره ، ويستعين به على طاعة الله .

وأما الكافر: فيطلب رزقه من أي وجه كان ، ولا يؤدي شكره ، ولا يستعين به على طاعة الله ، بل قد يستعين به على معصية الله ، ويعزبه الله تعالى بسبب هذه التوسعة التي وسعها عليه في الدنيا .

ثالثاً:

لا يُسَلِّمُ أَنَّ النَّصَارَى وَغَيْرَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكُفَّارِ يَعِيشُونَ فِي طَمَانِيَّةٍ وَيَقِينٍ مِنْ أَمْرِهِمْ مَعَ إِعْرَاضِهِمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ؛ بَلْ هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِنْ تَنْعَمُوا وَضَحِّكُوا وَأَكْلُوا وَشَرِبُوا مَا شَاءُوا؛ فَهُمْ فِي قُلُقٍ وَحِيرَةٍ وَشَكٍّ .

وهذا معلوم في الواقع لا شك فيه ، فإنك إذا نظرت إلى الدول الغربية تجد فيها من أسباب الراحة والترف والنعم ما يفوق الوصف والخيال ، ولكنك مع كل ذلك تجد أهلها أشد الناس بؤسا وقلقا وحيرة واضطرابا !!

فهم أكثر دول العالم في الأمراض النفسية والعصبية ، وهم أكثر دول العالم في معدل الجريمة ، القتل والسرقة والاغتصاب والخمر والمخدرات ... إلخ .

حتى إن الجريمة عندهم تقايس بالثانية الواحدة ، لا باليوم ولا بالساعة ، فيقال : كم جريمة ترتكب في الثانية الواحدة ؟!

وهم أكثر دول العالم في معدلات الانتحار .

فأي أمن وطمأنينة يشعر بها هؤلاء؟ لا شيء.

واعلم أن الكافر قد يفتح الله عليه جميع أبواب الراحة والترف في الدنيا، كما قال الله تعالى: **{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكْرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فِرَحُوا بِمَا أَوْتُوا أَخْدَنَاهُمْ بَعْتَهُ فَإِذَا هُمْ مُنْلَسُونُ}**. الأنعام/44.

إلا بابين اثنين فقد خصهما الله تعالى لأهل الإيمان به، وهما: الأمان والبركة.

فالبركة يقول الله تعالى فيها: **{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَمْتَوْا وَاتَّقَوْا لَفَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخْدَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**. الأعراف/96.

وأما الأمان فيقول الله تعالى فيه: **{الَّذِينَ أَمْتَوْا وَتَطْمَئِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُ الْفُلُوبُ}**. الرعد/28.

فلا يمكن لكافر مهما وجد من أسباب النعيم والترف والسعادة أن يعيش في أمن وطمأنينة وبركة قط، فذلك غير ممكن، بل هو في شقاء نفسي وقلق واضطراب يظهر أثره عندما يتوجه ذلك الشخص إلى الجريمة أو الانتحار أو المصحات النفسية والعقلية.

فإذا كان يعيش في أمن وطمأنينة فلماذا كانت كل هذه الجرائم والأمراض النفسية والاكتئاب ثم الانتحار؟!

إن هذا نتيبة الضنك الذي يعيشون فيه.

ويدل على هذا الضنك الذي يعيشه أهل الكفر في الدنيا أيضا: شهادة من أسلم منهم ودخل في هذا الدين العظيم، بأنه كان يعيش في بؤس وشقاء وقلق وحيرة، ويشعر الآن بسعادة وطمأنينة وراحة وحياة هادئة لا يستطيع وصفها؛ كما قال تعالى: **«مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُخْرِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»** النحل/97.

وينظر ما سبق في جواب السؤال رقم: (211798).

والله أعلم